بيان أول نوفمبر 1954

ملابسات الصدور، المضمون والأبعاد

د. يوسف قاسمي قسم التاريخ-

جامعة 8ماي 1945قالمة

المقدمة:

إن اندلاع الثورة وإعلان "جبهة التحرير الوطني" إطارا سياسيا لها، شكل مفاجأة لدى الأوساط المختلفة (الحركات الوطنية، الشعب، والإدارة الاستعمارية..) ولم تهضم هذه الأخيرة الموقف وسعت إلى تحجيمه، بل إفراغ البيان من محتواه الثوري والشعبي؛ معتبرة حوادث ليلة نوفمبر1954 "معزولة " قام بها "إرهابيون " و"مجرمون " مدعومين من قوى خارجية إقليمية وعربية، ربما يكون " للشيوعية" ضلع فيها. فقد جاء بلاغ الحاكم العام "روجي ليونارد "R. Leonard معبرا عن ذلك، هذا مقتطف منه: (... قامت مجموعة صغيرة من الإرهابيين بارتكاب ثلاثين عملية تخريبية متفاوتة الخطورة، وقد نتج عن ذلك مقتل ضابط وجنديين بخنشلة وباتنة، وحارسين ليليين من منطقة القبائل... وقد اتخذت في الحال إجراءات وقائية... هذا وإن السكان الذين تطمئنهم بهذه المناسبة... وقمع هذه الإعمال الإجرامية.)[1].

في نفس السياق كتبت جريدة "لو فيقارو"Le Figaro" الفرنسية مؤكدة الطابع الخارجي للعمليات التي حدثت، متهمة الجامعة العربية والجزائريين المقيمين بالقاهرة بالتخطيط لهذه الأعمال؛ جاء في كلامها: (إن الجامعة العربية وأولئك الذين

1- محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر 1994، ص 23.

يعيشون في المنفى في القاهرة ليسوا وحدهم الذين يمارسون ضدنا [illegible] الخروقة... إن خيوط المؤامرة لا تمر كلها بالقاهرة (...) فرنسا لن تخرب [illegible] الأشباح، إذ لا بد أن ترفع الأقنعة في يوم ما)[1] كما صرح "إ. نايجلن" E. Nijlen الحاكم العام السابق، مذكرا حكومته بمواقفه وتصريحاته ومتهما أطرافا مغاربية (تونس والمغرب) بالوقوف خلف الحوادث: (إن الجزائر لا يمكن أن تبقى غريبة عن ما يجري في المغرب الأقصى وتونس.)[2]

كما ذكر رئيس الحكومة الفرنسية "منديس فرنس" M. France" القاهرة وحكومتها في 12 نوفمبر 1954 بمسؤولياتها بشأن علاقات التعاون بينهما؛ وهو إيحاء وتهديد مبطن بقطعها وإمكانية اتخاذ إجراءات أخرى قد تتبع ذلك؛ فقال: (...إن فرنسا على المستوى التقني تواصل مساعدتها لمصر... إن الوقت قد حان لكي تتحمل الحكومة المصرية مسؤولياتها.)[3].

السؤال الذي يتبادر إلى ذهن قارئ مثل هذه التصريحات والبلاغات هو: هل كانت فرنسا وإداراتها في الجزائر وفي فرنسا واثقة إلى هذا الحد فعلا من عدم قدرة قيام الجزائريين بالثورة ؟ أم أنها تريد انتزاع الصبغة الوطنية و"الجزائرية" عنها؛ حتى تقنع الرأي العام الوطني والأجنبي بفكرة المؤامرة الخارجية ضدها ؟ بالتالي تجد المبررات الموضوعية والسياسية الدولية لقمع الثورة ؟ كيف تمت صياغة البيان ؟ وهل تحاشت فرنسا قراءته مع تزامن نشره مع العمليات الأولى للثورة ؟ من هم الأطراف الفاعلة في عملية نشره، هويتهم، أهدافهم، والمبررات التي دفعتهم للقيام بالثورة ؟ هل

---

[1] – نفس المرجع: ص 24

[2] – La Dépêche de Constantine , le 02-11-1954

[3] – نفس المرجع: ص 24

(*) ينظر النص الفرنسي الكامل للبيان في : El Moujahid, N : 04(N: Spécial), Tome 01 : Imprimé en Yougoslavie , juin 1962 , pp 59 – 60

تنكرت فرنسا وتغاضت عن البيان ومحتواه مثلما أنكرت الثورة كثورة، وجبهة التحرير كتنظيم سياسي جزائري لها ؟

أسئلة وأخرى تطرح تفرض علينا وقفة علمية تحليلية "للبيان"[*]، ملابسات صياغته، ومحتواه العقائدي والسياسي؟ سنحاول في هذه المقالة العلمية الاجابة عن هذه التساؤلات وباقي الموضوعات المتعلقة بها في سياق منهج علمي تحليلي نقدي، آملا التوفيق في إحداث المقاربة المطلوبة.

1 – ملابسات وظرف صياغة البيان وصدوره:

بشأن" البيان " فقد وقع التفكير فيه وإثارة نقاشات حول ضرورته ومحتواه مطولا بين القادة الستة، في اجتماعاتهم الدورية التي عقدوها طيلة شهر أكتوبر54م، كان آخرها اجتماع 23 أكتوبر54 م؛ الذي تم فيه الفصل النهائي في المسودة المقدمة من قبل محرريه: "بوضياف، ديدوش، بن مهيدي، وبن بولعيد." كان إعداده وتحديد مضامينه، قد اتخذ مبدءا تشاوريا؛ نظرا لصعوبة القضية التي سيحملها وما يتطلبه ذلك من صياغة إيديولوجية وسياسية مركزة– أعد باللغة الفرنسية[**]، ثم ترجم لاحقا من قبل مسؤولي الولايات في الداخل عام1957م، ولم تكن الترجمة موحدة آنذاك.– يذكر "بيطاط " أحد مجموعة الستة أن: إجراء سحب "البيان" وتوزيعه كلفت بها المنطقة الرابعة وأشرف شخصيا على العملية؛ حيث يقول:(...وقد ساهم في رقنه وسحبه الصحفي المناضل محمد العيشاوي، الذي عين لهذه المهمة من قبل المنطقة الرابعة وأنا الذي اصطحبته شخصيا إلى بلكور، وقدمته لمناضل صاحب مقهى وهو "أحمد زهوان" الذي تكفل بنقله إلى المنطقة الثالثة.)[1].

---

[*] وقد سحبت 2300 نسخة للبيان يوم 27 اكتوبر 1954م، ونقلت إلى الجزائر العاصمة لتوزيعها. كلف محمد بوضياف بنقل البيان إلى الوفد الخارجي للثورة بالقاهرة لنشره، لكن تأخر حصوله على التأشيرة من سفارة مصر بسويسرا جعله يعمد إلى إرساله عبر البريد السريع إلى القاهرة ليذاع في وقته المحدد له.

[1]– محمد عباس، ثوار عظماء، ط2، دار هومة– الجزائر 2005، ص 100 .

أما بشأن المحتوى والأفكار التي تتضمنها، والتكتيك الذي اعتمد في إعداده، فيقول محمد بوضياف: (لم يقع أي تعمق جاد في الحركة ولم يستطع المنظمون أن يتوسعوا في المضمون السياسي أكثر مما تناولوه من البيان. لأن إعداد محتوى واسع ومفصل يقتضي وقتا وتكوينا معينا، يمتد إلى الإيديولوجية والأبعاد والتنظيم وسير الثورة والى العقيدة والاتجاه السياسي الذي يرافق الثورة وما بعدها، وهو أمر صعب. لأن المنظمين... تجنبوا التحكم في مستقبل البلاد حين حصولها على الاستقلال، والقليل الذي اعتمدوه في البيان، مستمدا من تجاربهم الخاصة وعلى الحس السليم والإرادة.)[1].

ما يمكن تسجيله من ملاحظات أولية بشأن البيان: أن جماعة الستة تجنبوا الدخول في التفاصيل الإيديولوجية- السياسية، والتنظيمية، فضلا عن الجوانب الإجرائية والمستقبلية؛ لأن الموقف والتوقيت لا يسمحان بذلك. كما أنهم حاولوا صياغته من وحي خلاصة التجربة النضالية للحركة الوطنية، وإضفاء طابع الإيجاز والبساطة على مضامينه مع التركيز على الدور الإعلامي له؛ مكتفين بتقديم الخطوط العامة: للدوافع، المبررات، الأهداف، والغايات. مع شيء من روح التعبئة والاستنفار للجماهير: عاطفيا وسياسيا بغرض ضمان التفاعل الايجابي مع مضمونه. تاركين بذلك فسحة لتحليل أفكاره وقراءتها ضمن إطار ما حدد له سلفا، دون رهن مستقبل البلاد في"موقف قبلي صارم" قد يؤثر سلبا على "واقعها البعدي" المتجدد. في ذلك كله - بحسب ما نعتقد- موقف تكتيكي ونظرة إستراتيجية، ومسؤولية وطنية كاملة (***) حيال المستقبل والأجيال القادمة.

ولأجل القراءة السليمة لنص ومحتوى "بيان أول نوفمبر54م"، فإنه مطلوب منا الاستجابة والاستحضار الصارم "للبعد المنهجي"؛ متمثلا في ضرورة وضعه -أي

---

[1]- مومن العمري، الحركة الثورية في الجزائر من نجم شمال إفريقيا إلى جبهة التحرير 1954- 1962م، ط1، دار الطبع للنشر قسنطينة، الجزائر 2003، صص307- 308

... التاريخي، وواقعه الموضوعي الذي كان سائدا آنذاك عشية صياغته ... كما يجب تتبع القراءات والتعليقات والنصوص... التي جاءت ضمن ... الثوري بعده؛ من مواقع سياسية ومؤسساتية، أو منابر إعلامية ناطقة باسم ... ومراعاة عنصر تباين مستوى التكوين العقائدي، الفكري، والسياسي لقادة ... مسئوليها "الميدانيين" في الداخل، وكان أغلبهم من الجيل الثوري لما قبل ... وبعده. وكذلك المجموعة القيادية ذات الصفة السياسية، والدبلوماسية –وهي ... من الأيديولوجيات والأفكار– ماعدا القلة من الثوريين العسكريين، ... فرضت عليهم ظروف المعركة في الداخل الخروج لتمثيلها في الخارج؛ عبر المعركة ... – الدبلوماسية، والإعلامية.. وغيرها. كل تلك الحيثيات والمعطيات مطلوبا ... استحضارها في قراءة البيان، لمتابعة التحليلات والتفسيرات التي أعطيت له سواء ... فترة الكفاح أو وبعد الاستقلال؛ حتى نضمن أكبر قدر من الموضوعية ... والتوازن المنهجي في تناول مضامينه وأبعاده. فماذا عن محاوره البيان ... ؟ وأهم المضامين التي حملها البيان ؟

(***) يلاحظ انه على الرغم من تحديد الإطار العام للثورة ومرجعيتها؛ ممثلة ... المبادئ الإسلامية ،إلا أن طبيعتها وآليات التنفيذ... لم يتم تحديدها على درجة ... الدقة والوضوح؛ يعترف محمد بوضياف في إحدى شهاداته أنه: (في بداية الثورة ... يكن لنا فكرة دقيقة عما يجب أن يكون عليه برنامج الثورة الجزائرية ،فلا شيء ... دقيقا، ماعدا فكرة الاستقلال الوطني وإشراك الجماهير في الكفاح الوطني.) [1].

... رمضان بورغدة: الثورة الجزائرية والجنرال ديغول (1958–1962)م، رسالة دكتوراه غير ... قدمت بقسم التاريخ – جامعة منتوري قسنطينة جوان 2007، ص29

2- المحاور الكبرى ومضامين بيان أول نوفمبر 54م:

من خلال الاطلاع الأولي على مضمون"البيان "، يبدو أنه يتشكل من أربعة محاور رئيسية؛هي:

1- محور الظروف والعوامل التي دفعت إلى صياغته، وتقديمه كإعلان وبلاغ لاندلاع الثورة باسم "جبهة التحرير الوطني."

2- محور يحدد طبيعة الثورة وأهدافها ووسائل كفاحها، وإطارها الوحدوي المغاربي، مع كشف الصعوبات. في هذا المحور رسم وتحديد للمعالم الكبرى للدولة الجزائرية المستقبلية، وأسسها الفكرية والسياسية الوطنية.

3- محور يبرز طبيعة المعركة مع المستعمر الكولونيالي ويعلن شروط التسوية الممكنة معه، وتقديم الضمانات الكافية لمصالحه المشروعة، الثقافية والاقتصادية.. ولرعاياه من المستوطنين، وحلفائه الآخرين من الحركى وغيرهم.

4- محور يتضمن وضع "الثورة" في حضنها الطبيعي؛ هو الشعب الجزائري - كما استفتح البيان وختم- وتحميله المسؤولية في النجاح وتحقيق النصر. واعتباره "القضية" قضية ثورته وجبهته ! ومن ثم الإعلان عن الاستعداد للتضحية الكاملة لأجلها.

لرصد هذه العناصر وتحليل مضامين كل محور، وكشف دلالاته الفكرية، والسياسية. سنعمد إلى تناولها وتعيين المواضيع المختلفة التي وردت في البيان ضمن هذا السياق؛ وفي إطار الحفاظ على الوحدة العامة له، دون الإخلال بعناصره وأجزائه مع التركيز أكثر على جانب الإثراء الفكري والإيديولوجي لمحتواه.

المحور الأول:

إن" ديباجة " البيان وفقرته الأولى ركزت على توضيح أسباب نشر البيان، والذهاب إلى تبني العمل الثوري بغرض تحقيق الاستقلال الوطني في إطار الشمال الإفريقي. ورفع اللبس والتأويل الخاطئ الذي يمكن أن يوقعه الاستعمار وعملائه،

وربما بعض محترفي السياسة من الجزائريين؛ ويقصد هنا بالتحديد " النخبة "من سياسيين والشيوعيين، وربما أيضا أنصار "الإصلاح السياسي"من حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، والعلماء. جاء في البيان: (... نعلمكم أن غرضنا من نشر هذا الإعلان هو أن نوضح لكم الأسباب العميقة التي دفعتنا إلى العمل... التي دفعتنا إلى الاستقلال الوطني في إطار الشمال الإفريقي.)[1] ولينبه إلى خطورة الموقف المعادي للثورة، الذي سيستغل الظرف ليعطي ويقدم التأويل الخاطئ لها؛ يؤكد البيان: (... ورغبتنا أيضا هو أن نجنبكم الالتباس الذي يمكن أن تدفعكم فيه الامبريالية وعملائها الإداريون وبعض محترفي السياسة الانتهازية.)[2]

الملاحظ هنا أن صانعي البيان ومفجري الثورة، كانوا قد قرؤوا حساب العدو الفرنسي جيدا، كما رد فعله مع باقي أذنابه وهي "رسالة تحذيرية" للشعب والمناضلين الوطنيين، والخصوم السياسيين كذلك. كما هو تعزيز "للتكوين الثوري" الذي يقي من الاختراق النفسي والفكري، وتحصين"العمل الثوري الوليد."

بعدها ينتقل إلى التذكير بالظروف المحلية التي أقنعت صانعيه باستصداره، وتوجيهه "كنداء" للإعلان عن بداية العمل الثوري؛ جاء: (فنحن نعتبر قبل كل شيء أن الحركة الوطنية – بعد مراحل من الكفاح– قد أدركت مرحلة التحقيق النهائية.) (56 مكرر) مذكرا بالهدف الثوري لأية حركة ثورية مستعملا مقولة لينين في هذا الشأن (لقيام ونجاح أية حركة ثورية، لا بد من نظرية ثورية.) أما بخصوص الظروف الإقليمية والدولية بحسبهم فهي ملائمة ومناسبة للعمل الثوري؛ خاصة وأن ثوري تونس والمغرب قد قامتا ولا تزالا مشتعلتين، وضرورة اللحاق بركبهما –لتسوية المشكلة المغاربية، التي توحدت بشأنها مواقف الجميع– لانجاز وحدة المغرب العربي. وفي ذلك استلهام لمشاريع النضال المشترك، التي بدأت بتأسيس لجنة تحرير المغرب

---

[1]– النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني 1954–62، نشر وتوزيع قطاع الإعلام والثقافة والتكوين لحزب جبهة التحرير الوطني " الجزائر 1987، ص 03

[2]– نفس المصدر، ص 03

العربي بالقاهرة عام 1947م بين الأحزاب المغاربية: "حزب الشعب الجزائري، الحزب الدستوري التونسي، وحزب الاستقلال المغربي" و"جمعية العلماء المسلمين." جاء في البيان: (إن أحداث المغرب وتونس لها دلالاتها في هذا الصدد فهي تمثل مراحل الكفاح التحرري في شمال إفريقيا... إننا منذ مدة طويلة أول الراغبين إلى الوحدة في العمل).

أما على المستوى الدولي فيذكر البيان بحالة الانفراج الدولي الحاصل بين المعسكرين الشيوعي والرأسمالي-في إطار سياسة التعايش السلمي، إلى جانب تنامي المد التحرري في المستعمرات وهزيمة فرنسا في ديان بيان فو في ماي 1954 أمام الفيتناميين، ورضوخها للتفاوض معهم- إلى جانب التعاطف والمساندة العربية والإسلامية لقضيتنا والدعم الدبلوماسي الذي ستحظى بها عندهم...الخ. يقول البيان: (...أما في الأوضاع الخارجية فإن الانفراج الدولي مناسب لتسوية بعض المشاكل الثانوية التي من بينها قضيتنا التي تجد سندها الدبلوماسي وخاصة من طرف إخواننا العرب والمسلمين) .

نستنتج من كل ذلك أن مجموعة " 6+3 " المفجرة للثورة كانت على اطلاع جيد بأوضاع العالم الخارجية، تتابع عن كثب تطورات الموقف الدولي، وخاصة ما تعلق منها بتطور"الواقع الاستعماري" وإخفاقاته، و"المد التحرري" ونجاحاته. وقد حاولت الاستفادة من هذه الأوضاع في التخطيط لمشروع الثورة وإعلانه في الوقت المناسب؛ ما يعني الاستفادة من متغيرات السياسة الدولية لصالح الثورة. بعدها ينتقل البيان إلى استعراض واقع الأزمة الداخلية للحركة الوطنية، ولحركة الانتصار تحديدا، مركزا على حالة "الجمود" و"الروتين" الذي أصابها وجعلها تحيا على "الهامش الثوري"؛ غارقة في خيالات المطلبية السياسية، التي تعلقت بالفتات الاستعماري ومشاريعه الكاذبة. هذا الذي ركنت إليه قد ضيع عليها فرصة الخروج من "شرنقة" الاحتلال التي لفت

عنقه... كما جعلت المستعمر يطير فرحا لهذا الانتصار- الانجاز الذي حققه على حسابها.

هذه الحالة الكارثية فرضت على الوطنيين المخلصين ضرورة الإسراع لإخراج الحركة الوطنية من مأزقها، وإنقاذها من وضعها اليائس؛ مع أخذ زمام المبادرة-بكل نزاهة وحياد- لصالح القضية الوطنية والمصلحة العليا للشعب. إنها التجربة المريرة مع المستعمر؛ تلك التي كانت خلاصتها ونتيجتها: الاقتناع بضرورة الذهاب إلى الكفاح المسلح إلى جانب إخوتنا المغاربة، وباقي شرفاء العالم وأحراره؛ متخذين من " جبهة التحرير الوطني" كحركة جديدة تجديدية ثورية، إطارا واحدا ووحيدا لهذا الكفاح. كما فتحت أحضانها لكل الجزائريين من كل التيارات والفئات والطبقات الاجتماعية للانضمام إلى مشروعها التحرري، دون اعتبار آخر، يؤكد البيان: (... إن حركتنا الوطنية قد وجدت نفسها محطمة نتيجة لسنوات طويلة من الجمود والروتين... إن المرحلة خطيرة... رأت مجموعة من الشباب المسؤولين والمناضلين الواعين... أن الوقت قد حان لإخراج الحركة الوطنية من المأزق... لدفعها إلى المعركة الحقيقية الثورية إلى جانب إخواننا المغاربة والتونسيين.)[1] يضيف مؤكدا الصفة الاستقلالية لمفجري الثورة: (... نوضح بأننا مستقلون عن الطرفين الذين يتنازعان السلطة، إن حركتنا... موجهة فقط ضد الاستعمار الذي هو العدو الوحيد الأعمى.) أما بشأن انفتاحه على كافة العناصر الوطنية، فيورد البيان: (ونتيح الفرصة لجميع الجزائريين من جميع الطبقات الاجتماعية وجميع الأحزاب والحركات الجزائرية، أن تنظم إلى الكفاح التحرري دون أدنى اعتبار آخر).

بهذا الخصوص نلاحظ أن تصوير البيان لأزمة الحركة الوطنية كان شاملا ودقيقا، ولا غرو في ذلك، فقادة الثورة كانوا نشطاء وأعضاء مسئولين في حزب الشعب- حركة الانتصار، وفي جناحها العسكري "O.S" تحديدا وكانوا المشرفين على التنظيم؛

---

[1]- نفسه.

ك (آيت أحمد، بن بله، بن بوعيد، وبوضياف... وغيرهم.) ومن ثم تجاوزوا واقع الحركة الوطنية، وطبيعة أزمتها ومسلكيتها الغارقة في صراعات شخصية سلطوية. كانوا قد بذلوا قصارى جهدهم- في إطار اللجنة الثورية للوحدة والعمل منذ مارس54م وعشية اندلاع الثورة- لإخراجها من حالة الضياع والتيه.. لكن دون جدوى. ومنه فقد انطلقوا من واقع الأزمة وتجلياتها، ليوجهوا نداءهم للشعب الجزائري وقواه الحية السليمة للالتفاف حول الجبهة، وتبني خيار "العنف المسلح." يقول سليمان الشيخ: (لقد صور لنا بيان أول نوفمبر 1954 "الحالة الهابطة" للحركة الوطنية، وهي تفقد كل شيء، وتدخل مرحلة اليأس التام، عشية اندلاع الثورة وهكذا أصبح "العنف الثوري"هو "الأمل الوحيد" لانتزاع الحق وتحقيق النصر، وهو مقرون بضرورة اجتماعية، وحياتية، ومشروعية وطنية وإنسانية في نظر المستعمر ضمن "كلية منسجمة ولازمة ومبررة "، بين الوسيلة والغاية) [1]

تلك كانت الخلاصة المركزة للخلفية الموضوعية، الواقعية، والوطنية المقنعة والمبررة لقرار الذهاب إلى الثورة؛ كما جاء في نداء أول نوفمبر54. فماذا عن مبادئها وأهدافها، والوسائل التي أعدتها للكفاح من خلال ما طرحه هذا البيان التاريخي ؟

المحور الثاني:

في هذا المحور عمد صائغوا "البيان" إلى عرض الخطوط العريضة " للبرنامج السياسي" الذي تعتزم الثورة إنجازه محددين الهدف العام والأهداف الداخلية والخارجية بدقة ووضوح. جاء في البيان: (ولكي نبين بوضوح هدفنا فإننا نسطر فيما يلي الخطوط العريضة لبرنامجنا السياسي، الهدف: الاستقلال الوطني بواسطة:

---

[1]- سليمان الشيخ، الجزائر تحمل السلاح أو زمن اليقين، ترجمة محمد حافظ الجمالي، ط1.دار القصبة للنشر الجزائر 2003، ص 267

أ - إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية والاجتماعية ذات السيادة ضمن إطار المبادئ الإسلامية .

2- احترام جميع الحريات الأساسية دون تمييز عرقي أو ديني.)[1]

لقد كشف "البيان" عن الهدف الأساسي العام من اندلاع الثورة، فحدده "بالاستقلال الوطني". فهل الهدف المعلن جديد أم قديم في الأدبيات السياسية الوطنية ؟ لاشك أن المطلع على وثائق الحركة الوطنية ونصوصها، خاصة الاتجاه الاستقلالي؛ يجد العبارة حاضرة منذ الوهلة الأولى في مطالبه. فبرنامج النجم المعلن سنة 1937م، يورد -لأول مرة منذ وقوع الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830 م- صراحة: "الاستقلال التام لهذه البلد." كما أن جريدة "الإقدام" الناطقة باسمه أوردت في إحدى أعدادها لعام 1927، عبارة: (بالاستقلال التام لشمال إفريقيا، وانسحاب القوات الفرنسية، وتشكيل حكومة وطنية ثورية.)[2] وتتالى بعد ذلك وورد ذكر هذا المطلب في كل برامج الحركة حتى اندلاع الثورة. وعليه فالمطلب قديم- جديد ؟ ! الجدة فيه هي في تحديد البيان هذه المرة نوع هذا الاستقلال وإطاره الفكري، الاجتماعي والسياسي، إلى جانب وسيلة تحقيقه. تلك الجوانب التي ظلت -ربما- غامضة في أدبيات الحركة الوطنية من قبل. وقد جاء البيان ليوضحها بعبارة: "بواسطة: إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية والاجتماعية ذات السيادة، ضمن إطار المبادئ الإسلامية." وهي عبارة موجزة بليغة تحمل من القيم، الدلالات، النظم، والبرنامج ما يحتاج منا وقفة تحليلية عميقة لتحليتها ؟ "فإقامة الدولة الجزائرية" يعني فيما يعني، عدم الاعتراف بواقع الاحتلال ومنظومته الاستعمارية في الجزائر وإلغائه، وإعادة بعث الدولة الجزائرية ذات الامتداد التاريخي والحضاري وصاحبة السيادة الكاملة على الأرض، الثروات، الحدود، الشعب، والقرار. وقد سعى الأمير عبد

1- النصوص الأساسية لجبهة التحرير، مصدر سابق ص 04

2- د.رابح بلعيد، جريدة رسالة الأطلس، عدد 107، الحلقة 20 من 14-20 أكتوبر 1996م، ص 11

القادر(1832-1847)م إلى بعثها وإعادة تأسيسها بكل مكوناتها، واضعا لبناتها الأساسية الأولى؛ لكن المستعمر عطل مشروعه الوطني..."[1] وقد جاءت ثورة 54م لتستأنف دورة التأسيس والبناء للدولة المغيبة من جديد.

إن التساؤل الأول المطروح بشأن طبيعة الدولة التي أعلنها بيان أول نوفمبر54، والمعبر عنها بـ: "إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية والاجتماعية ذات السيادة في إطار المبادئ الإسلامية." هو: هل هذه المبادئ "الديمقراطية" و"الاجتماعية" و"السيادة" و"المبادئ الإسلامية"..إلخ؛ كان لها حضورا في نصوص ووثائق الحركات الوطنية ؟ وتعبر بحق عن رؤاها وتصوراتها في التفكير السياسي أم لا ؟

الأكيد أن بعض هذه المصطلحات وظلال معانيها كان واردا في أدبياتها، ونادت بها القوى الوطنية: " UDMA"، " MALD"، وحتى العلماء "ULAMA" الذين كثيرا ما كانوا منسجمين في طروحاتهم ومواقفهم السياسية مع " UDMA" الذي يتزعمه فرحات عباس. كما كان هذا الأخير يتكئ على الزعامة الروحية والأخلاقية، والقاعدة الاجتماعية للعلماء لتمرير مواقفه السياسية -كما أن الحزب الشيوعي الجزائري غير تسميته سنة 1954 لتأخذ عنوان "أصحاب الحرية والديمقراطية"- و"حركة الانتصار للحريات الديمقراطية" هي الأخرى فضلت أن تدرج ضمن تسميتها "الحريات " و"الديمقراطية" مسايرة للاتجاه الشرعي السياسي والانتخابي. وقد طرح الحزب في وثيقة صادرة عنه في ديسمبر1951 ما سماه بـ: "المعالم الرئيسية لنضال الحركة الوطنية الجزائرية"؛ التي تضمنت المفهوم الشامل "للحريات الديمقراطية" كمبدأ أساسي، لينسحب بعدها على الجوانب: الاجتماعية، الاقتصادية، الثقافية، والسياسية -عبر آلية "المشاركة الشعبية" في حكم البلاد وإدارة شؤونها واحترام الحريات الأساسية- مع إقامة "نظام عادل". كل ذلك لأجل إبراز العبقرية الشعبية،

---

[1]- انظر تفصيلا في ذلك: عبد الله شريط، مع الفكر السياسي الحديث، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 86 و ما بعدها

... قراءة "العقلية" التي تتلمس في ذلك ما يعكس الاستمرارية في الأيديولوجية والأفكار ذات المفاهيم السياسية العصرية ذاتها في البيان.

كما يذكر بن يوسف بن خده أن المؤتمر الثاني لحركة الانتصار" MTLD" المنعقد شهر افريل 54م كان قد طرحت فيه فكرة "جمهورية إسلاميه."[2] لكن – حسبه – شخصيات دينية أقنعت مجموعة المؤتمر بالتخلي عن الفكرة حتى لا تستغلها فرنسا ذريعة لشن حملة دعائية إعلامية وسياسية لإثارة الغرب المسيحي ضد الجزائر وتحويل العلاقة إلى "حرب دينية صليبية." وقد استبدلت العبارة بأخرى وردت كما يلي: "جمهورية جزائرية ديمقراطية واجتماعية في نطاق المبادئ الإسلامية." وهي نفس العبارة الواردة في الهدف المعلن لبيان أول نوفمبر 54م تقريبا.

الملاحظ –كما يذهب الأستاذ لونيسي رابح[3] وكما بدا لنا أن من النسخة المعتمدة في الدراسة؛ ورود مصطلح "ديمقراطية اجتماعية" بدل "ديمقراطية واجتماعية"؛ أي إسقاط حرف "الواو" بين الكلمتين ؟ وهو في اللغة العربية؛ أي "الواو" الذي يفيد العطف ؟ والفارق طبعا بين وواضح بين "الديمقراطية الاجتماعية" و"الديمقراطية والاجتماعية"؛ ففي الأولى تحديد لنوع الديمقراطية "ذات الصيغة والنمط الاشتراكي اليساري." بينما في الثانية إطلاق للمعنى لترك مساحة الاجتهاد مفتوحة بخصوص نوع الديمقراطية التي تتطلبها الضرورة والمرحلة. بل إنها "الديمقراطية" التي تتأطر ضمن "المبادئ الإسلامية" كما جاء في آخر العبارة؛ أي ألا تتعارض

1– C. Collot et J.R.Henry, Le Mouvement National Algérien Textes 1912-1954, Ed :op4, Alger 1978 , P 304

2– Benyoucef .Benkhedda, Les origines du 1ere Novembre. op. cit. , p 222

و كذلك: عبد الرحمان العقون، الكفاح القومي والسياسي، ج 3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985، ص 375

3– رابح لونيسي، بيان أول نوفمبر و أسس الدولة الوطنية (الجذور الفكرية و المضمون)، مجلة المصادر، المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 54، العدد 7، نوفمبر 2002، ص26

فسفتها ومنطلقاتها مع القيم الإسلامية: تأسيسا وفكرا، ممارسة وسلوكا. ولعل إسقاط " الواو " كان مقصودا من المترجمين وليس من باب الصدفة ؟.. الذي يؤكد ذلك ما ورد في أرضية الصومام 1956م من تعمد إسقاط إطار المبادئ الاسلامية للدولة ؟.. حيث نصت وثيقة الصومام في تعريفها للدولة المراد إقامتها بعبارة: (.. دولة جزائرية في شكل جمهورية ديمقراطية، واجتماعية.)[1].

أما بشأن لفظة "ذات السيادة" ففيها من الدلالة ما يستوقفنا، إذ أن التأكيد على "السيادة " فيها رفض صريح لكل أشكال الوصاية والتبعية للاحتلال أولا؛ أي رفض للشكل "الفيدرالي" الذي كانت النخبة تعزف على وتره سياسيا، ورفض "للحكم الذاتي" المنقوص، كما هو الحال مع الجارتين تونس والمغرب، خاصة النموذج التونسي في تبني الاستقلال المرحلي القائم على مبدأ "خذ وطالب" أو "سياسة المراحل." كما فيه إشارة قوية إلى رفض الانخراط في الصراع الدولي آنذاك "الحرب الباردة" بين المعسكرين الشرقي الشيوعي والغربي الرأسمالي، وسعيهما إلى احتواء الحركات التحررية وثورات الشعوب -خاصة الكتلة الشرقية- لفرض إيديولوجيتها عليها، ووصايتها السياسية. بذلك فإن "البيان" أقر مبدأ "السيادة الكاملة" غير المنقوصة للدولة المستقلة، وأصر على بعث "الدولة الوطنية" الحرة، "الديمقراطية والاجتماعية ذات السيادة في إطار المبادئ الإسلامية." بيت القصيد هنا: ما المقصود بالمبادئ الإسلامية ؟ وهل سبق ورودها -كذلك- في الأدبيات السياسية للحركة الوطنية ؟ وهل تم الالتزام بها ضمن المسار الثوري، وفي سياق العمل لبناء الدولة الوطنية المستقلة ؟

إن قضية الإسلام ومبادئه من أهم القضايا التي صاحبت وواكبت حركة الجهاد الوطني أيام المقاومات منذ القرن 19م، وفي فترة النضال الثقافي والسياسي الوطني على عهد الحركة الوطنية، وكان أقوى فصيل حمل " القضية الإسلامية" هي

---

[1]- النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني، مصدر سابق، ص 12

...ية لعلماء المسلمين الجزائريين" بشعارها:"الإسلام ديني والعربية لغتي والجزائر وطني. كما أن مجل وثائق 'PPA'، 'MTLD' كانت تنص على "المبدأ الإسلامي" كمنطلق وسلوك في نضالها السياسي الوطني. بل إن " النخبة " بنوعيها: الليبرالية والشيوعية كثيرا ما رفضت مشروع "الإدماج" الكلي للجزائريين، وأصرت على الحفاظ على أحوالها الشخصية الإسلامية التماء وعقيدة؛ دون أن تتنازل عليها، مقابل قبولها بالاندماج الاجتماعي والسياسي مع المستوطنين.

بذلك يمكن أن نقول أن "بيان أول نوفمبر" أكد ما كان مؤكدا سابقا في أدبيات الحركة الوطنية بهذا الخصوص، لكن الجديد فيه هو: إزالة الغموض، وتحديد وظيفته بدقة بعد ما كان "شعارا" يفتقر إلى المفهومية الدقيقة، والإجرائية العملية. فـ"البيان" حسم ما كان معلقا. فما المقصود إذا "بالمبادئ الإسلامية " التي نص عليها بيان أول نوفمبر 54م ؟

يورد د.سعيد عليوان توضيح المسألة فيقول: (كلمة مبادئ جمع مبدأ وهو الأصل والبداية والابتداء.. ومبادئ العلوم هي مسائلها الرئيسية.. وهي قواعد ومعايير عملية تبنى عليها قيم الأعمال.) [1] ليواصل أن " مبادئ الإسلام " هي قواعده الأساسية التي يقوم عليها، وهي أدق وأشمل من كلمة قانون ؟ بذلك فأن بيان أول نوفمبر54: (قد قرر أن تكون الثورة الجزائرية، والدولة التي ستقوم على إثر انتصارها متمثلة جميع قيم الإسلام.) فإن صح هذا التفسير فإن "البيان " قد فصل في المرجعية العقدية، الفكرية، والسلوكية للثورة الجزائرية؛ وللدولة المستقبلية التي ستقوم على ثمرة الكفاح الوطني التحرري.

في المقابل نجد د.عميراوي حميدة يتساءل: هل حدد "منظروا" الثورة التحريرية هوية الشعب الجزائري في نداء أول نوفمبر54 ؟ وهل رسموا أبعادها ؟ يجيب: (... ما

1- د.سعيد عليوان، قيم الإسلام في مواثيق الثورة الجزائرية (بيان أول نوفمبر، ميثاق الصومام56، وبرنامج طرابلس1962م)، كتاب القيم الفكرية والإنسانية في الثورة الجزائرية (54-1962)، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، ج 1 جامعة منتوري قسنطينة 2003، صص 32-39

نلمسه في هدف الثورة التحريرية التي بدأت مشروعها الحضاري ببيان أول نوفمبر54م، الذي كان من أولوياته تحرير المجتمع الجزائري من الاستعمار الأوروبي وفرز هويته عن بقية الهويات الاستيطانية... وبتأسيس دولة جزائرية حرة ديمقراطية، قائمة على الإسلام دينا والعربية لغة، وعلى الثقافة العربية ممارستها.)[1]

من جانب آخر فإن تأكيد دور "العقيدة الإسلامية" ومحوريتها في دفع عجلة الثورة، وتوفير "الزخم الجهادي" المطلوب في محاربة الاستعمار يبدو أكثر حضورا وتأثير وفعالية؛ وهو ما انتبه إليه أحد الكتاب حين قال: (... دور العقيدة الإسلامية في تطور الثورة المناهضة للاستعمار، وكذلك دور التقاليد العربية الإسلامية في التطور السياسي والاجتماعي... ومن الناحية التاريخية فإن الإسلام يكون القاعدة الثقافية والاجتماعية للجماهير الشعبية التي ترمز إلى كل نجاح في الحركة الوطنية الثورية في الجزائر...)[2] أما المرحوم أ.د أبو القاسم سعد الله فيذهب مذهبا مغايرا في تقسيم مستوى حضور القيم الإسلامية، التي عبر عنها البرنامج الثقافي والسياسي للعلماء بامتياز؛ وينعته بالحضور الباهت والضعيف في البيان. ناهيك عن عدم قدرته على التعبير الصريح عن البعد الحضاري للأمة الجزائرية متمثلا في مبدئي الإسلام والعروبة؛ يقول:(...يلاحظ بدون شك أن هناك غيابا لمبادئ جمعية العلماء المسلمين التي رسمتها للجزائر ماضيا ومستقبلا، كما يلاحظ أن البيان لا يجيب على بعض النقاط بوضوح: كالهوية والإسلام والعروبة، وأنه ليس ميثاقا أو عريضة مرجعية ذات فلسفة وتصورات حضارية، وإنما هو وثيقة -سياسية- صحفية كتبت فيما يبدو على

---

[1]– د. عميراوي حميدة، فاتح الثورة الجزائرية، مقارنة بالثورات العالمية، مقال بمجلة المصادر، عدد9، السنة 2004، ص18.

[2]– George A. Talia doros. « La Culture Politique Arabo-Islamique et la naissance du nationalisme Algérien (1830-1962), p 63

عجل وصيغت في عبارات بسيطة وعملية.)[1] وهذا-في تقديرنا- ربما سبب "التحفظ" الذي أبداه بعض العلماء حول البيان في البداية.

إجمالا يمكن القول: أن "بيان 54" وفي سياق هدفه العام، قد حمل الملامح والخطوط العريضة لمشروع مجتمع متكامل، يتأسس ضمن إطار دولة جزائرية وطنية حرة وعادلة وديمقراطية ذات سيادة في إطار المبادئ الإسلامية؛ مستجيبة بوفاء لعناصر هويتها الحضارية وخصوصياته القومية. ملغيا كل ارتباط بالنظام الكولونيالي الظالم والمتعفن، الذي عطل حركيتها ودورتها التاريخية، طيلة 132 سنة من الاحتلال. أما الشق الثاني من الهدف العام المحدد في نص البيان، فقد أعطى "التزام الشرف" لحماية "الأقليات غير المسلمة (المستوطنون من المسيحيين واليهود..) في الجزائر، التي ترغب في العيش في كنف "الدولة الجزائرية." فحرياتهم الأساسية وحقوقهم مكفولة من حيث كونهم غير جزائريين، أو عند قبولهم الانخراط في "المواطنة الجزائرية"-حسب رغبتهم الحرة- فلن يقع تمييز تجاههم لا في الانتماء الاجتماعي، ولا في العقيدة الدينية. جاء في البيان: (احترام جميع الحريات الأساسية دون تمييز عرقي أو ديني.)[2] بذلك اكتمل الهدف الذي حدده البيان للثورة في: "دولة جزائرية ديمقراطية واجتماعية، ذات سيادة ضمن إطار المرجعية الإسلامية." التي تحترم الآخرين وتضمن حرياتهم الاجتماعية والدينية.

أ- **الأهداف الداخلية:** في هذا الجانب حدد بيان أول نوفمبر هدفين أساسيين:

---

[1] - الإبراهيمي، في قلب المعركة، ط 1، دار الأمة،الجزائر 1997، ص 07

[2]- النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني، مصدر سابق، ص 05

(***) لمزيد من التفصيل حول "الدور الدبلوماسي للثورة، وتداعياتها على علاقات فرنسا الخارجية"، انظر: دراساتنا المنجزة في إطار مشروع بحث بعنوان " تداعيات الثورة الجزائرية على علاقات فرنسا الدولية "، مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية جامعة قسنطينة، عام 2007

الأول: يتمثل في "التطهير السياسي" للحركة الوطنية؛ بمعنى نقلها من "النهج الإصلاحي" المنحرف والغارق في شتى ألوان الفساد الذاتي والسياسي إلى ميدان الكفاح الوطني المسلح.

الثاني: التعبئة الشاملة لكل الطاقات الحية في الأمة، ومد اليد لكل الجزائريين للانخراط في العمل الثوري المسلح؛ لتوجيه كامل الجهد والإمكانيات لتصفيته النظام الاستعماري بشكل نهائي.

بذلك فإن بيان نوفمبر54م يقدم "شهادة " على "القطيعة الجذرية" مع العهد الماضي، إن على مستوى الأهداف ووسائل العمل وصيغها، أومن خلال توجيه "النقد اللاذع " للحركة الوطنية وأساليبها القديمة في النضال. مما جعلها تحرم من السند الجماهيري، وتتجاوزها الأحداث إقليميا وعالميا ؟ !! ولم يمنع من مد "اليد البيضاء" لكل الفعاليات الوطنية، كأفراد لا كأحزاب للمساهمة في انجاز هذه الأهداف المسطرة.

ب- الأهداف الخارجية:

استكمالا للمهمة الداخلية، فقد عزز البيان وضع خطة تضبط الأهداف الخارجية للكفاح الوطني لأجل التحرك الدولي لدى "الرأي العام العالمي الرسمي"؛ ممثلا في الهيئات والحكومات، والمنظمات الدولية.. إلى جانب العمل باتجاه "الرأي العام المدني" والشعبي بجمعياته وصحافته، ورجاله الشرفاء من المفكرين نشطاء حقوق الإنسان.. وغيرهم. كي يسندوا كفاح الشعب الجزائري، ويمكنوا قضيته من"التدويل." ومن ثم سحب الغطاء على جرائمه، وتكثيف الضغط الإعلامي والدبلوماسي ضده: للاعتراف بحق الجزائر في تقرير مصيرها؛ لكشف الجرائم الاستعمارية الأخلاقية والإنسانية، في حق الجزائريين العزل.(** **)

بعدها يدعو البيان "الأمم المتحدة" إلى تفعيل مواد ميثاقها لحقوق الإنسان، المعلنة في جويلية 1948، المؤكدة حق الشعوب في الحرية وضمان حقوقها وتقرير

مصيرها بنفسها. ليحملها مسؤولية التكفل بقضية الشعب الجزائري؛ باعتبارها "قضية حقوق وحريات" وقضية عادلة. كما يبدي نص البيان الاستعداد الكامل للتفاعل الايجابي بشأن "المشكلة الجزائرية"؛ وبحث حل جذري لها في إطارها الاممي.

أما المسألة الأهم في أجندة "الأهداف الخارجية"، فهي دعوة البيان لتأكيد الإطار الطبيعي للقضية هو"الإطار الوحدوي المغاربي العربي الإسلامي"، وبالتالي الحسم في المسألة ودوائر الانتماء الجغرافي, التاريخي والحضاري. جاء فيه:(...تحقيق وحدة شمال إفريقيا في داخل إطارها الطبيعي العربي الإسلامي.)[1] نرى في ذلك تأكيد لهدف سابق للاتجاه الاستقلالي (النجم خاصة) متمثلا في "وحدة المغرب العربي"، حيث ترجم هذا المسعى في عهد الحركة الوطنية عام 1947 بتأسيس"لجنة تحرير المغرب العربي" بالقاهرة من قبل الأحزاب الثلاث: (حزب الشعب الجزائري وجمعية العلماء + حزب الاستقلال المغربي + الحزب الدستوري الفرنسي.) وقد تجدد ورود هذا الهدف في برنامج " UDMA " بعد تأسيسه عام 1946 م.

لقد حسم البيان- كما يقول رابح لونيسي- [2] دوائر الانتماء الثلاث للجزائر، وهي: "الدائرة المغاربية" ثم "الدائرة العربية"، "فالدائرة الإسلامية." إقرارا لأبعاد الهوية الجزائرية. وتسبيق "الدائرة المغاربية" على "الدائرة العربية" في الانتماء والعمل، يعكس تطلع "صناع الثورة" بحق إلى انجاز الوحدة المغاربية من جهة، والتأكيد الضمني على خصوصية المجتمع المغاربي فيما يتعلق "بالثقافة البربرية المشتركة"، وتأثيرها القوي والفاعل على الشخصية الثقافية والاجتماعية المغاربية. كما أن عدم طرح هذا البعد صراحة في البيان، يؤكد مبدأ "الاحتراز "من إمكانية تجدد "المشكلة البربرية" التي كانت قد أرقت من قبل الحركة الوطنية سنة 1949 فيما عرف بـ "الأزمة البربرية."

---

[1]- النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني، مصدر سابق، ص05

[2]- رابح لونيسي، بيان أول نوفمبر و أسس الدولة الوطنية (الجذور الفكرية و المضمون)، مجلة المصادر، المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 54، العدد 07، نوفمبر 2002، ص 36.

التي كانت إحدى أسباب أزمتها، ولم يكن ذلك من قبيل التنكر لها بل أن التوقيت لم يكن مناسبا لطرحها لضمان وحدة الشعب والمجتمع، وبالتالي تأجيل طرحها إلى ما بعد التحرر والاستقلال. وقد ورد عن الشهيد "عبان رمضان " أنه قال للمناضلين بمدينة شلغوم العيد بالشرق الجزائري عقب الأزمة البربرية عام 49م ما يلي: (أن البث في المسألة سيتم بعد طرد الاستعمار الفرنسي، ولتحقيق ذلك يجب الحفاظ على وحدة الصف، وعدم إعطاء فرصة لضرب وحدتنا.) [1]

الخلاصة أن "النظرية الوحدوية" في بيان أول نوفمبر 54م، تمثل كما يقول الأستاذ خرنان: (وحدة قيمة شاملة، ذات بعد تضامني استراتيجي، ومصيري لكسب المعركة.. وعلى هذا المفهوم الفكري والإنساني وقع التعاطف ومساندة الثورة من قبل الأشقاء المغاربة والعرب وباقي الإنسانية في العالم.) [2]وقد جاء التأكيد على هذه القيم والمعاني في المواثيق اللاحقة (ميثاق الصومام 56، وبرنامج طرابلس62م)، وفي إحدى تصريحات الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، جاء: (...فالشعب الجزائري المتعلق بحضارته ينتمي إلى الوطن العربي، فهذا الوطن واحد، ومن الخطأ السياسي محاولة تقسيمه... فالتضامن العربي ليس كلمة جوفاء، فبفضل التضامن الفعال لهذه الشعوب الشقيقة وحكومتها أصبح الشعب الجزائري قريب من بلوغ هدفه .) [3].

---

[1]- Khlfa Maàmeru, Abane R-Heros de la Guerre d'Algérie "Ed rahma". Alger 1985, P 60

[2]- مسعود خرنان، الوحدة المغاربية من خلال مواثيق الثورة الجزائرية، كتاب القيم الفكرية والإنسانية.. مرجع سابق، ص 280-281.

[3]- نفسه، ص 288-289

وسائل الكفاح:

لقد فصل فيها "البيان" معلنا تبنيه كل وسيلة منسجمة مع العمل الثوري، محققة للهدف والغاية المرسومة والمعلنة؛ إن على الصعيد الداخلي أو الخارجي. فالنصر قادم لا محالة -على الرغم من الاقتناع بكون "التّخلفة" و"الضريبة" ستكون كبيرة وباهظة..!! لكن التضحية في سبيل الحرية والوطن لا تقدر بثمن؟ جاء في البيان: (إن هذه مهمة شاقة ثقيلة العبء، وتتطلب كل القوى وتعبئة كل الموارد الوطنية، وحقيقة أن الكفاح سيكون طويلا ولكن النصر محقق.)[1].

المحور الثالث:

فيه ركز البيان على "الطبيعة السلمية" لا العنيفة للإنسان الجزائري، وتحمله للمشقة في سبيل الحرية والوطن؛ حيث أبدى الثوار استعدادهم الكامل للسلم وتفادي الخسائر وإراقة دم الطرفين: "الجزائري والفرنسي." لأجل ذلك تم إعداد وثيقة مشرفة و"أرضية للمناقشة" مع سلطات الاحتلال. جاء في البيان:(... فقد أعددنا للسلطات الفرنسية وثيقة مشرفة للمناقشة، إذا كانت السلطات تحدوها النية الطيبة.) كما فيه حس لنبض الفرنسيين، ومنحهم فرصة أخرى وأخيرة لحل "المشكل الاستعماري" في الجزائر بالطرق السلمية. لكن بشرط الاعتراف المسبق بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره بنفسه وفق الشروط المبينة في البيان وهي:

1. الاعتراف بالجنسية الجزائرية بطريقة علنية ورسمية.
2. فتح المفاوضات مع الممثلين المفوضين من طرف الشعب الجزائري على أسس الاعتراف بالسيادة الجزائرية ووحدة لا تتجزأ.
3. خلق جو من الثقة بإطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين ورفع كل الإجراءات الخاصة.[2]

---

[1]- النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني، مصدر سابق، ص 05

[2]- نفسه، ص 06

بهذه الدعوة سحبت الثورة وبياتها البساط من تحت أقدام الفرنسيين، ولم تبق ثم من مبرر في رفض الدعوة إلى السلام، وذهاب الجزائريين إلى الكفاح المسلح والثورة كانت بمثابة "دعوة" أخيرة وجهت لإقناع الفرنسيين بحقوقهم المشروعة التي قامت الثورة لأجلها: (ولم تكن خيارا أو غاية في حد ذاتها، بل هي وسيلة صريحة لإعلان السلم، وإلزام الإدارة الاستعمارية بالامتثال للمواثيق والنصوص الدولية... وكانت الدعوة للمفاوضات دليلا قاطعا على نزع جبهة التحرير الوطني للسلم، واعتمادها العمل الدبلوماسي والسياسي، كأداة أساسية لفض النزاع بين الطرفين.)[1].

لكن فرنسا "ميتران" Mitterand- وزير الداخلية في حكومتها آنذاك- أجاب بعنجهية وغطرسة على نداء السلم بقوله: "المفاوضات الوحيدة هي الحرب،" كما أن السفاح "بيجار" "Béjart" -الذي اعدم البطل الشهيد بن مهيدي مارس 1957م- برر سياسة القمع والتعذيب التي كانت منظمة ومنسقة ومتقنة، في تعاملها مع الثوار والشعب قائلا: (التعذيب مرض لابد منه خلال الحروب.)[2] هذا في الوقت الذي تنادت فيه أصوات أصحاب الضمائر الحية من اليسار الفرنسي والإنسانيين... وغيرهم، رافضة منطق التعذيب والحروب كوسيلة لفض النزاع الجزائري

1- د.عامر رخيلة: " البعد الإنساني في الثورة الجزائرية "، مجلة المصادر، عدد 07 نوفمبر 2002، ص 45

2- انظر في ذلك: بيير هنري سيمون، ضد التعذيب في الجزائر، ترجمة بهيج شعبان ط1، دار العلم للملايين بيروت، 1975. و ريمون أرون: مأساة الجزائر، ترجمة سعيد صالح ط1، منشورات جمعية متخرجي المقاصد، بيروت 1975. وجون بول سارتر. عارنا في الجزائر: ط1، ترجمة عايدة وسهيل إدريس، دار الآداب بيروت- لبنان1958 ، صص46-66. إلى جانب نداءات بعض الكتاب الجزائر كمالك بن نبي في رسالته الشهيرة "النجدة الشعب الجزائري بيان " التي وجهها إلى الأمم المتحدة والرأي العام الدولي من القاهرة بتاريخ: 17-06-1957م؛ يناشد الضمير العالمي بالتدخل لإنقاذ الشعب الجزائري من الإبادة الجماعية المحققة التي يرتكبها الاستعمار الفرنسي. أنظر كتابه: في مهب المعركة، ص81.80

الفرنسي. فماذا بعد كل ذلك التعنت الفرنسي إلا اللجوء إلى الحرب ؟ جاء في البيان: (وفي المقابل:

1. فإن المصالح الفرنسية ثقافية كانت أو اقتصادية، ومتحصل عليها بنزاهة، ستحترم، وكذلك الأمر بالنسبة للأشخاص والعائلات.
2. جميع الفرنسيين الذين يرغبون في البقاء بالجزائر، يكون لهم الاختيار بين جنسيتهم الأصلية... أو يختارون الجنسية الجزائرية..
3. تحدد الروابط بين فرنسا والجزائر، وتكون موضوع اتفاق بين القوتين الاثنتين على أساس المساواة والاحترام المتبادل.)[1].

وقد جاءت شهادات الفرنسيين مؤكدة هذه الحقيقة الإنسانية والأخلاقية، في المضمون والممارسة للثورة الجزائرية؛ وهذه شهادات عبر عنها احد الضباط الفرنسيين لصحيفة فرنسية سنة 1959م تؤكد ذلك، جاء فيها: (إننا نحب أن نعلن عن المعاملة الطيبة التي لقيناها من الجزائريين، فلم نتعرض أبدا للشتم أو الإهانة، ولم يستعمل ضدنا أي ضغط مادي أو معنوي، وكنا نتناول طعامنا قبل الجميع، وفي غالب الأحيان كنا نخجل من هؤلاء الرجال، الذين يعاملوننا بمنتهى الطيبة والروح الإنسانية، في الوقت الذي خربت ديارهم وقتلت عائلاتهم.)[2] وشهد شاهد من أهلها !

تلك إذا خلاصة الرسالة "الإنسانية" و"الأخلاقية" للبيان، ولثورة نوفمبر 54 في كل مسارها؛ حيث نظرت إلى الإنسان من حيث كونه: كائنا آدميا وأخلاقيا قبل أن يكون "مشروع سياسة" أو "حرب" في يد محترفي السياسة، ومجرمي الحرب الفرنسيين. فهل بعد كل هذا يلام الجزائريون على انتفاضتهم وثورتهم ضد العبودية والقهر؟ دفاعا عن حق الإنسان كل الإنسان في الحياة الحرة الكريمة.

1- د.عامر رخيلة، مرجع سابق، ص 53.

2- نفسه، ص 61.

المحور الرابع والأخير:

استهل البيان نداءه بعبارة: "أيها الشعب الجزائري"، وجاءت أول فقرة أفتتح بها موجهة للشعب الجزائري. فما سر ذلك ؟ هل وثق محررو "البيان" حقا بالشعب وقدرته على تحمل المسؤولية حيال قضية كبرى بحجم "الثورة"، وبالتالي استأمنوه عليها ؟ ألم يكونوا يعلمون بأن "الشعب"-معظمه- مؤطرا داخل التنظيمات السياسية، يأتمر بأوامرها وينقاد لقراراتها ؟ أليس ذلك من قبيل المغامرة والرهان على حصان مقيد في ربح سباق مصيري لا يقبل الخسارة ؟!. أسئلة تطرح نفسها لتبحث عن سر تلك الثقة المطلقة بالشعب لدى مفجري ثورة نوفمبر 54 ؟ إن طبيعة الاستعمار الاستيطاني، وممارساته العدوانية في حق الشعب الجزائري من: احتلاله للأرض ومصادرة للأملاك وقطع للأرزاق، إهانة للمقدسات الدينية، تشويه للتاريخ القومي ومصادرته للثقافة الوطنية ولغتها العربية.. فضلا عن التزوير الانتخابي لإرادة الشعب وحقه في التمثيل والتعبير الحر؛ مرورا بالمجازر التي ارتكبها في حق الأبرياء، وتغييب كل صور ومظاهر الدولة الوطنية الجزائرية!. كل ذلك وغيره، ترك بصماته وأثره على نفسية الجزائري، فأصبح حاله كالغريق الذي ينتظر القشة التي يمكن أن تنقذه! كما أكد الشيخ الإبراهيمي، في بيانه الذي وجهه له يوم 15 نوفمبر 54م: (أيها الإخوة الجزائريون الأبطال: لم تبق لكم فرنسا شيئا تخافون عليه، أو تدارون لأجله، ولم تبق لكم خيطا من الأمل تتعلقون به...،... إن فرنسا لم تبق لكم دينا ولا دنيا... وإنها سارت بكم من دركة إلى دركة... إن الرضا بسلب الأموال، قد ينافي الهمة والرجولة، أما الرضا بسلب الدين والاعتداء عليه فإنه يخالف الدين، والرضي به كفر بالله. رتعطيل للقرآن !...،... إن شريعة فرنسا،

أنها تأخذ البريء بذنب المجرم...، وهي بذلك مصممة على محوكم، ومحو دينكم وعروبتكم، وجميع مقوماتكم.)[1].

إنها أبلغ صورة - والله- "للجريمة الفرنسية" في حق الشعب الجزائري، أوصلته إلى موقف أصبح فيه يتمنى الموت العاجل على حياة الذل والعبودية !؟ هكذا خبر محررو البيان نفسية الشعب الجزائري، فرموا بالثورة في أحضانه وحملوه مسؤوليتها في البداية والنهاية. كما أرجعوا إليه سلطة القرار، ومنحوه السيادة المطلقة في اتخاذه، وتحديد مصيره. وكأني بهم يعلنون "استفتاء عاما" حول الثورة، دون حملة انتخابية مسبقة ؟ لأن الحملة كان قد قام بها الاستعمار منذ سنة 1830 وحتى سنة 1954: فأعد الشعب واقنعه بما فيه الكفاية بضرورة التصويت على الثورة "بنعم"؛ لعلها كانت مزية وحسنة الاستعمار الوحيدة تجاه الشعب الجزائري ! إن البيان قد اعترف واقر منذ البداية "سيادة الشعب"، وسلطته التي يجب أن تمارس في ظل "اختياره السيد والحر"، وكانت هذه أول "خطوة ديمقراطية" في البناء الديمقراطي الوطني الذي دشن ليلة الفاتح نوفمبر54م. جاء في البيان: (أنتم الذين ستصدرون حكمكم بشأننا- نعني الشعب عامة.)[2] وقد توخي مفجروا الثورة أن يعلموا الشعب كيف يسترجع حريته واختياره منذ البداية، فتمثلوا نموذج الثوار الأحيار، الذين قال فيهم د.سليمان الشيخ: (...إن لقاء الأقلية الفاعلة، والمنظمة بقوة، بالأكثرية التي انتبهت لندائها، هو الذي أتاح لشرارة أول نوفمبر أن تشعل الحريق الذي امتد شيئا فشيئا، حتى أهب كل المناطق.)[3] ذلك هو اللقاء، وتلك هي الصناعة، والاستفتاء الشعبي على الثورة.

---

[1]- الإبراهيمي، في قلب المعركة، مرجع سابق، ص17-18

[1]- النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني. مصدر سابق ص03

[2]- سليمان الشيخ، الجزائر تحمل السلاح، مرجع سابق، ص81.

ختم البيان نصه بفقرة تضمنت نداءا جديدا للشعب ولكل جزائري أبي، يدعوه لمباركة وتزكية وثيقته؛ بل يذكره بأن التزكية المطلوبة؛ هي من قبيل الواجبات التي الملزمة في ساعة الخطر، وعند اللحظة الحاسمة لإنقاذ مركبة الوطن من الغرق ؟ جاء في خاتمة البيان: (أيها الجزائري ! إننا ندعوك لتبارك هذه الوثيقة، وواجبك هو أن تنظم إليها لإنقاذ بلادنا، والعمل على أن نسترجع له حريته.)[1].

الملاحظ أن البيان -كما أسلفنا- استهل بعبارة "أيها الشعب الجزائري"، وفيه تخصيص مقصود للمواطنين الجزائريين؛ من أصول اجتماعية وثقافية جزائرية، بينما ختم بعبارة "أيها الجزائري" وفيه توسيع وتعميم لكل الجزائريين-بما فيهم السكان غير الأصليين من غير المسلمين من المسيحيين واليهود، وقد منحهم من قبل الضمانات الكافية- أن ينخرطوا جميعا لإنقاذ الوطن؛ باعتباره وطن الجميع. نظنه خطاب ذكي فيه من المرونة والدبلوماسية، ما ينم عن مستوى عال من النضج والقدرة على صناعة منطق الإقناع ! لينهي البيان بصورة من التضحية، قدمت كنموذج من قبل محرريه -قل مثله في التاريخ- حيث وضعوا أنفسهم في الصف الأول من المعركة؛ واثقين بأن الشعب إلى صفهم ضد الاستعمار الامبريالي. مقدمين أنفسهم "قرابين" للوطن وحريته؛ فكانوا كذلك كما وعدوا ؟! (أما نحن العازمون على مواصلة الكفاح، الواثقين من مشاعرك المناهضة للامبرياليين فإننا نقدم للوطن أنفس ما نملك.)[2] بهذا ختم البيان "المشهد الثوري" الذي رسمه بأول قربان للحرية يقدم من صانعيه؛ الذين لم يبخلوا بأنفسهم ودمائهم. وقد صدق المرحوم محمد بوضياف حين قال: (لقد نشأ أول نوفمبر من فكرة الاعتماد على الشعب أساسا.)[3].

---

[3]- النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني، مصدر سابق، ص06

[1]- نفسه، ص 06.

[2]- محمد عباس: ثوار عظماء، ط2، دار هومة – الجزائر 2005، ص 33

الخاتمة: يمكن التأكيد في نهاية هذه المقالة على أن "بيان أول نوفمبر54" بمحوره الأربع التي وقفنا عليها بإيجاز ! حمل من: المشاعر الوطنية، القيم الفكرية، المنطلقات الإيديولوجية، الدلالات السياسية، والآفاق المستقبلية... الخ. ما يمكن أن نعتبره "نظرية" و"مشروع مجتمع" متكامل المضامين والأبعاد. لقد سعى إلى "إعادة التأسيس" للدولة الوطنية -التي غيبها الاحتلال قهرا- وبعث الإنسان الجزائري صاحب المواطنة الكاملة، سيدا في الاختيار والقرار؛ في إطار أبعاد الشخصية الجزائرية. تلك التي بلورتها تجارب التاريخ، وصقلتها محن الزمن؛ متمثلة في: قيم الإسلام (عقيدة وسلوكا)، ووشائج العروبة (لغة وثقافة)، ومبادئ الإنسانية (أخوة، سماحة وتعايش.) بذلك اكتمل العقد، وتمت الصفقة، وجاء الوعد الصادق نصرا حقاقا.. بإذن الله أولا، وإرادة وتضحيات الشعب الجزائري البطل ثانيا.